

نفهم التراث بالفكر الثوري والمعاناة النضالية

أيها الرفاق^(١)

في كل مرة يتاح لي لقاء مع رفاقنا المناضلين أحتزن طاقة هائلة من التفاؤل والايان بمستقبل أمتنا المشرق، أيام قليلة قضيناها في هذه المدينة، تجولنا اثناءها وشاهدنا ما يملأ القلب والنفس بهجةً وارتياحاً وأملاً كبيراً. . . ولكن نحن البعثيين تعودنا دوماً ان نعتبر اكبر الانجازات بداية، وبداية صغيرة وصورة مصغرة جداً لأماكنيات امتنا في المستقبل عندما تنهار الحواجز التي تجزيء وطننا الكبير وعندما تحطم العوائق والقيود التي تكبل جماهير شعبنا العظيم، عندئذ يكون الانجاز العظيم. . . الانجاز التاريخي الذي لا نرى الان الا دلائل وتباشير تنم عنه ولكن لا تحتويه كله.

أيها الرفاق

كنا نتوق الى اليوم الذي نرى فيه مناضلينا وأبناء شعبنا يدعون، يعملون في المصانع وينشئون الحياة العصرية الحديثة المصنعة التي تصمد لتحديات العصر، كان هذا حلمنا ان نرى مناضلي حزبنا يلقون بأنفسهم في لجة التحقيق والعمل. . . في لجة الانجازات الكبيرة بعد ان مارسوا النضال عشرات السنين، النضال السلبي ضد الاستعمار وضد الطغيان وضد التخلف والتجزئة. كانوا وكنا معهم نحن الى العهد الذي يتاح لنا فيه ان نرى القدرات والكفاءات الايجابية تزدهر وتتحقق، لأن النضال ليس دوماً سلبياً ولأن النضال السلبي انما تحدوه وتغذيه أحلام التحقيق في العمل. . .

(١) حديث في قيادة فرع البصرة في ١٩٧٦/٢/٤.

المناضلون عندما يقبلون بمشقة النضال وتضحياته وعذابه انما تختلج نفوسهم وضائرتهم بأمل اليوم الذي يستطيعون هم أرفاقهم الذين يتابعون الطريق ، ان ينشئوا لأمتهم ، لشعبهم ، لأولادهم ، المستقبل الزاهر الجدير بأمتنا وبمكانتها وبعبريتها ، ولكن بين العهود النضالية السلبية وبين عهد النضال الأيجابي صلة عضوية . . الثاني ، النضال الأيجابي بكل منجزاته وبكل ابداعاته ليس الا وليد الفضائل ، وليد الصمود ، وليد المبدئية ، وليد التجربة الأنسانية العميقة التي يكتسبها المناضل في ايام المحن والشدائد اذ يبلو نفسه ويبلو محيطه وينمو وينضج من خلال هذه التجربة ويتسلح بها يميزه عندما يستلم المسؤوليات في زمن النضال الأيجابي وفي زمن الأنجازات والتحقيقات ، يتسلح بالأخلاق التي تميزه عن بقية العهود وبقية الأنظمة وبقية الموظفين الذين يعملون دون مثل أعلى ، ودون تجربة نضالية ودون روادع ، ودون أصالة تكمن في اعماق النفس وترفع نفس المناضل كلما كادت المغريات تنال منه أو تؤثر عليه ، فأذا النضال وحدة لا تتجزأ في شطرها السلبي وشطرها الأيجابي . . . النضال هو الحياة الحقة وأكاد أقول بأن الأساس هو ذلك الشطر ، هو البداية ، هو الأمتحان ، هو التشيع بالفكرة والمبادئ والأنصهار فيها ، في نار التضحية والألم . . . تلك الفترة هي التي تحدد شخصية المناضل ومصيره وجدارته واصالته .

أيها الرفاق

اني أتصور دوماً قضيتنا بأنها تتألف من ثلاثة عناصر (الأمة . . والحزب . . . والمناضل البعثي) الأمة هي الأصل والحزب وليد الامها ومعاناتها وتشوفها وتفجر طاقاتها الكامنة ، تشوفها الى النهوض والأنبعاث . . . والمناضل البعثي هو الذي يجسد الأمة والحزب في أفكاره وفي سلوكه وفي أخلاقه وفي مسيرته وتطوره ونضجه ، وان النظرة التي انطلق منها حزبنا كانت من الأساس ، من اليوم الأول تقوم على تفكير نسيمه بالمصطلحات الحديثة (جدلياً) هذا التصور هو تصور حي ديناميكي يقوم على التفاعل بين الفكر والواقع وعلى اضطراد هذا التفاعل بقفزات متلاحقة ليصل أخيراً الى التحقيق الكامل . . . كيف تصورنا نهضتنا الحديثة ، ثورتنا العربية ، انبعاث أمتنا؟ انطلقنا من الحاضر عندما بدأ الحزب وفي الوقت نفسه اتجهنا وبنفس القوة ونفس

الأندفاع ونفس العمق في تصورنا الى المستقبل والى الماضي ، رأينا المستقبل وصعوبة تحقيقه وبعده الشاسع عن واقعنا المتخلف . رأينا الماضي كذلك ببعده الشاسع عن واقعنا . . . بحثنا في الماضي عن الجديد الحي ، وبحثنا في المستقبل عن الأصيل غير المصطنع ، لذلك كان تصورنا تصورا جدليا ديناميكياً يقوم على تفاعل مستمرين حاضرنا المتخلف والنازع الى الثورة والتجدد . . . وبين ماضينا الأصيل الغني العريق ، وبين المستقبل المبدع الذي نرجوه لأمتنا .

أقول لكم ذلك أيها الرفاق لكي نجعل من تجربتنا الثورية في هذا القطر . . . هذه التجربة الثمينة التي هي خلاصة تجارب الحزب ، وخلاصة نضال الحزب في كل اقطاره وفي كل ماضيه والتي هي أمل الحزب وأمل الأمة لكي نجعل منها بالفعل وبالوعي وبالوضوح والتخطيط التجربة العربية التي تتسع للحزب كله في العراق وفي غير العراق من أقطار وطننا في الحاضر وفي الماضي ، ولكي تتسع لتجارب الأقطار العربية حتى من خارج تجربة الحزب . . . أملنا وطموحنا بأن تغتني هذه التجربة وان ترتوي بدروس الماضي وعبره ، ماضي الحزب ، وماضي الأمة ، بدروس السليبات وبخيرات وفوائد الإيجابيات ، أن تكون ، وهي في جزء من الوطن وفي جزء من الزمن الذي هو الحاضر ، ان تكون التجربة التي لا تجربة في مستواها ، ان تصبح مركز استقطاب . لأن أمتنا وجمهير شعبنا بحاجة ماسة ، بأفتقار كبير ، بشوق شديد الى الضوء الهادي الذي يدل على الطريق وينتقد الطريق ، لذلك ما كنا لنطمح بأن تكون التجربة هكذا أو ان نحلم بأن تكون هكذا لو لم تكن بالفعل قد حققت شروطاً كثيرة من هذا الذي نطلبه ومن هذا الذي نحلم به ، فهي بمسيرتها وبإنجازاتها وبالروح التي تلهمها وتسيرها استحققت ان نضع فيها ثقتنا وأملنا ، اذاً لانحلم احلاماً مجانية ولا نطلب اعتباراً وانما على أساس متين من الواقع ، هذه التجربة تجربتكم وتجربتنا جميعاً جاءت بعد نكسات للحزب والأمة ، ولكن ايضاً كان ثمة قبل النكسات بدايات مشرقة قوية ، كانت الأساس الصالح لمسيرة الحزب ولمسيرة الأمة . . .

أيها الرفاق

الحزب واقعي في تصوره ، كان يعرف بأن النهضة العربية لا تتم بين ليلة

وضحاها، في سنة او سنوات، كان يدرك مدى التخلف ومدى التجزئة، ومدى العراقيل التي وضعها الاستعمار في طريق الأمة العربية وفي طريق نهضتها، الحزب بتفكيره العلمي لم ينشد معجزة، لم يدع الأمة الى طفرة، لم يحلم بعملية سحريينقلب فيه تخلفنا تقدماً، وانما بنى تفكيره وتصوره على أساس ان الطريق طويل وان علينا ان نمشي وان نحقق شيئين متناقضين في آن واحد، اختصار الزمن الذي هو ميزة الثورة، واحترام القوانين والشروط التي لا بد منها لكي تُبنى الثورة، ويُبنى الثوار، وتنشأ، وتنمو الفضائل النضالية وتتفاعل مع الواقع وتصبح قادرة على التأثير في الجماهير الواسعة... هذه صورة عن جدلية فكرنا البعثي بأننا مطالبون بأن نختصر الزمن، ولكن لا يجوز لنا ان نقفز من فوق المراحل الضرورية لبناء الإنسان العربي الثائر، المناضل، وبناء الحزب الثوري بكل ما يتطلبه بناؤه من فكر ومن تنظيم ومن ممارسة، ولعلكم تعرفون او تذكرون بأنه كان يعاب علينا في الفترة الأولى من نشوء الحزب، يعاب علينا البطء وكنا نجيب بأننا نحن المستعجلون الحقيقيون لأننا نستعجل خلاص أمتنا نريد لها الخلاص الحقيقي من الامها ومن تخلفها... لذلك لن نبني على الرمال، ولن نقبل بأن يكون سيرنا اعتباطياً وسطحياً ينهار من أول صدمة، ولن نثير في نفوس الشباب شهوة الوصول، الوصول القريب، وانما نمتحن الصلابة والصمود وعمق الأيمان وخصب الحيوية في الشباب العربي، عندما نضع له أهدافاً صعبة بعيدة المنال، ولن نجتمع الناس تجميعاً، وهكذا نختصر الزمن لأن الحركات الاخرى سريعا ماتنهار وتبقى حركتنا سائرة وتكسب ثباتاً ونضجاً مع الأيام.

أيها الرفاق

قلت لكم بأن تجربة حزبنا في هذا القطر المناضل قد افادت من تجارب الأمة الى حد بعيد، ولا أبالغ لأني لا أرضى لحزبنا بأن يناله الغرور، فنحن نطمح الى المزيد من استيعاب تجربتنا في هذا القطر لتجارب الحزب كله في الماضي، ولتجارب الأمة، نطمح الى مزيد من الأستيعاب، وعندما نذكر هذه الأيجابيات التي ميزت هذه التجربة لنلق نظرة سريعة على الماضي لنرى كيف احسنت تجربة الحزب الأفادة من التجارب السابقة للحزب، لتذكر عام ١٩٦٣ سواء في العراق او في سوريا، لتذكر ما طبع

التجربتين في ذلك الحين في العراق من نقص رهيب في النضج وانفلات وتناحر صيباني بين القيادات ومبدئية مشوبة بالغوغائية، أما في سوريا فكانت هذه العيوب متوافرة بالاضافة الى عيوب أخطر وأدهى ، اذ كانت هناك تكتلات من خارج الحزب ادعت الأنتهاء الى الحزب وتسلمت على الحزب في ظروف معروفة وأدى ذلك ليس الى تشويه صورة الحزب فحسب، وانما الى عكس الصورة التي أردنا ان يكون عليها الحزب، ولقد كان الانقلاب الغادر الذي دبرته الفئة المتسلطة على الحزب في (٢٣ شباط) كان بمعنى من المعاني انقاداً للحزب وللمستقبله، انقاداً لصورته في اذهان الجماهير العربية، لأنه في الساعة التي غلب فيها الحزب في سوريا بقوة السلاح نفض عن نفسه كل الجرائم والأرتكابات والتشويهات التي مورست بأسمه وهو مغلوب على أمره، فكان ذلك بداية لاستعادة ثقة الشعب به . . . ترون أيها الرفاق بأننا اذا شعرنا بالارتياح العميق بالثقة والتفاؤل بالمستقبل ، فليس ذلك عبثاً بل لأننا وصلنا الى حد لا أقول هو الكمال، وكلنا نعلم بأن طريقنا لا زالت طويلة، ولكن الى الحد المرضي المطمئن للنفس الذي يجعل من النضال لذة للمناضل لأنه يلمس حب شعبه له في كل يوم، في كل لفتة، في كل حركة، يشعر بانه هو وجماهير الشعب شيء واحد، جسم واحد. لم يعد ثمة مجال للتزوير على الحزب، لم يعد ثمة مجال لتسويد صفحة الحزب، هذا خير كبير . . . فضل كبير نستطيع ان نستند اليه لمزيد من الانطلاق والانديفاع نحو المستقبل، ان يصبح حزبنا معروفاً ومشهوداً له بالرصانة والنضج، لأنه يمثل الروح العربية والأخلاق العربية، هذا شيء ثمين بعد ان كانت العقلية الطفولية والثورية الطائشة تقيم سدوداً بيننا وبين قلوب الشعب بتصرفات شاذة وصمت الحزب، في أحسن الأحوال، بالخفة وبالسطحية إن لم نقل احياناً باللاأخلاقية .

أيها الرفاق

البعثيون يعرفون ان كل انجازٍ مَهْمَا عَظُمَ اذا بقي في حدود القطر الواحد يكون مهدداً بأن يتحول الى شيء عادي، او مهدداً بالضياع، اذا لم يكن اعداداً للعمل الحدودي . . . وهذه ايضا سمة من سمات تجربتنا في هذا القطر لأننا نشعر ونؤمن ونثق بان الغاية لكل هذه الانجازات التي تقوم انما هي الوحدة العربية، وان هناك وعياً و ارادة

وكفاءة غير عادية تعدُّ للإنجاز الكبير ، تعدُّ شعب هذا القطر ومناضلي هذا الحزب ، وجيش هذا القطر لمعركة الأمة العربية في التحرير والوحدة ، لا أقول ذلك للتطمين أو التخدير ، بل اعرف بأن البعثيين لا يجدون طعاماً للحياة ولا يعود النضال يعني شيئاً مهماً بالنسبة إليهم اذا لم تكن غايته توحيد الأمة العربية واطلاق طاقات هذه الأمة العظيمة من اجل بناء حضارة جديدة . فثقتنا وأيماننا ستمتحنها يوماً بهذا الأعداد للمعركة الكبرى عندما يحطم البعث أصنام القطريات ، كما حطم الأسلام اصنام الوثنية وأعلا كلمة التوحيد . . . كذلك رسالة البعث هي التوحيد والوحدة .

الأسئلة والأجوبة

● ورد في كتابات الحزب ان حزب البعث العربي الاشتراكي حزب الطبقة العاملة، وفي كتابات اخرى ان حزب البعث حزب الطبقات الكادحة... يرجى توضيح ذلك؟

مع ان الفرق ليس كبيراً ولا جوهرياً بين الطبقة العاملة والطبقات الكادحة... أقول بأن الحزب كان دوماً يتوجه الى الجماهير الكادحة، الى الأكثرية الساحقة من ابناء الشعب العربي، وفي كل كتابات الحزب من اول نشوئه حتى الان، يركز على الأكثرية الساحقة التي هي من جهة تتحمل نتائج الاستغلال والظلم والغبن، ومن جهة اخرى فيها تكمن القوى الحية للأمة، فيها تكمن الطاقات والقدرات الخلاقة، التي بها، وليس بأية طبقة اخرى، تحقق الأمة العربية اهدافها الثورية.

فاذا اخذنا تعبير الطبقة العاملة حرفياً بانها هي طبقة العمال في المدن، عندها نقول بان ليس هذا فكر البعث لانه لا يحدد الموضوع بالطبقة العاملة، ليس هو فقط حزب العمال بل هو حزب الجماهير العربية الواسعة الكادحة التي وضعت في طريق انطلاقتها حواجز ضخمة من الاستغلال الطبقي والاستبداد والنهب الاستعماري وكل انواع الظلم، هذه هي نظرة الحزب وفي مفهومنا... تتناول كل الطبقات المحرومة والشعبية المظلومة سواء أكان عملها يدوياً او فكرياً او قتالياً.

● يرجى توضيح مفهوم العلمانية.

اعطيت في المدة الأخيرة قبل فترة قصيرة توضيحاً لمفهوم العلمانية في حزبنا، في مدرسة الاعداد الحزبي في بغداد وأحاول ايجازه الآن.

كان هناك عند ظهور الحزب مفهوم سائد للعلمانية اعتبرناه مفهوماً سطحياً غير متجاوب مع روح الامة وطموحها الحضاري... والحزب منذ بداية اعلانه عن فكرته، حاول تصحيح هذا المفهوم، العلمانية بمفهومها الذي كان رائجاً في ذلك الحين، أي في بداية الأربعينات سواء في الاوساط القومية المتأثرة بالثقافة الغربية أو في الاوساط المتأثرة

بالماركسيه، العلمانية في ادعائهم، تعني التحرر من الدين، الابهال لكل ما له علاقة بالدين والتراث، لكي يلتقي المواطنون على صعيد واحد امام المفهوم القومي . . . او امام القومية او الوطنية، وهذا كان تبريره تعدد المذاهب والأديان في وطننا العربي وفي بعض اقطاره، واقطار المشرق بصورة خاصة لأن اقطار المغرب ليست فيها هذه المشكلة، فكنا ضد هذه النظرة . . . لماذا؟

نحن انطلقنا من تصور حي لواقع الأمة العربية، الامة العربية لها ماض . . . لها تراث ضخم هو أثنم شيء في حياتها وهو داخل في حاضرها، مؤثر اذاً في تربيتها . . . في تكوين شخصيتها . . . في عواطفها وافكارها . . . في آمالها وتطلعاتها . وعندما نقول للعربي تجرد من كل ذلك حتى تصبح عربياً، كأننا حكمنا عليه بالموت او بما يشبه الموت، اذ ماذا يبقى من العربي عندما يتجرد من تراثه؟

الحزب كما تعرفون بدأ بنظرة جديدة الى التراث هي من اهم افكار الحزب . . . انا اقولها بصراحة فيما يخصني، خلاصة افكاري وضعتها في تلك الكلمة (ذكرى الرسول العربي) فاذن هذا شيء أساسي في نظر البعث لأن القومية العربية ليست هكذا مجردة، مجرد انتهاء، مجرد مواطنين في وطن لهم حقوق وعليهم واجبات، يشتركون في مصالح وعواطف . . . الخ، لكن نحن اذا دققنا في العواطف سنجد بأن جماهير شعبنا لها عواطف نحو هذا التراث الذي كما قلت هو شيء حي في حياتها . . . وليس تاريخاً تقرأه وانما تمارسه وتحياه. عقيدتها الدينية هي هذا التراث الضخم . . . عندما نقول «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» أي رسالة هي؟ ماذا أعطى العرب أعظم من هذه الرسالة؟ ماذا يقدمون عندما تتبارى الأمم؟ الفرق هو ان حزبنا لم يكن مثل التقليديين الجامدين الذين كانوا يتوهمون بأن تكرار قراءة التراث والتغني به تحييء للعرب بالتقدم مجاناً . . . كهبة جاهزة . . . هكذا.

في كتابات الحزب ولعلكم تذكرون ذلك . . . انطلقنا من النظرة بأن التراث لا نفهمه الا عندما نناضل، لا نستحقه الا عندما نعمل الثورة العربية . . . التراث يبقى أصمً وجامداً وبلا معنى اذا لم نرتق في نضالنا وبشورتنا، وتتجدد ونقطع المراحل النضالية والثورية التي لا بد منها لهوض أي شعب، عندها تحل اسرار التراث ويصبح

مفهوماً، ويصبح متفاعلاً مع حياتنا ونصبح مجددين لهذا التراث ومتابعين لقيمه ومعانيه .

فالعلمانية التي تعني شطب والغاء كل هذا الجانب . . . مرفوضة، وهي سطحية واحياناً مشبوهة . . . عندما تكون كذلك . ولكن نظرنا هذه الى التراث لم تمنعنا من القول بان المواطنين جميعاً، في الدولة العربية المقبلة، متساوون في الحقوق والواجبات، لا تفرق في المذهب بين فئة واخرى . هذا شيء . . . واعطاء التراث حقه وهو أضخم شطر في حياتنا الفكرية والعاطفية من تاريخنا ومن حاضرنا وبالتالي من مستقبلنا، هذا شيء اخر . . .

الحزب جاء في زمن معين، هذا الزمن الذي جاء فيه، كانت قد سبقته مرحلة من التقدم النسبي، الحزب جاء في فترة حساسة كان مطلوباً فيها أن تحدث القفزة النوعية . . . الارتقاء الى مرحلة أعلى . هو لم يبيء والوطن العربي في ظلام دامس وخضوع وخنوع للاستعمار، وانما جاء في زمن حساس جداً، كان هناك شعور عام بالحاجة العميقة للارتقاء الى مستوى أعلى، لان الذي تحقق لم يكن كافياً، كان يطلب شيء أعلى وأعمق، هذه بداية الحزب . . . وهذه حقيقته . . . وهذا ما مثله الحزب . في الناحية التي نحن بصدددها كان هناك شعار سائد : الدين لله والوطن للجميع . . . وكان هذا شعاراً تقدماً استطاع ان يوحد فئات الشعب وطوائفه في وجه المحتل الاجنبي . استطاع ان يحقق نوعاً من الوحدة الوطنية .

التجديد الذي عمله الحزب يمكن تسميته الارتقاء من منطق التطور الى منطق الثورة والانقلاب . . . الارتقاء من مفهوم الوطنية الى مفهوم القومية، الشعار الذي كان وليد المرحلة السابقة اوجد وحدة على السطح وترك الخلافات في الباطن وفي الاعماق . . . اوجد وحدة في الوعي الوطني المحدود والسطحي وأبقى الخلافات في جزء كبير من العواطف والارتباطات والولاءات النفسية والفكرية . اوجد وحدة وطنية وترك المجال واسعاً لتشتت وانقسام حضاري، أوجد جبهة شكلية وسطحية في وجه الاستعمار وترك مجالات عديدة لاكثر من جهة اجنبية لكي تفسد البنية الداخلية لكيان الامة والمجتمع .

لذلك فان هذا المفهوم للعلمانية الذي كان في وقت ما خطوة تقدمية ، أمسى عامل تشويه وحقن لانطلاقة الامة على المستوى الحضاري والانساني ، وبكلمة مختصرة : كان ذلك المفهوم يسيء من ناحيتين :

الاولى : انه بحجة التقاء جميع فئات وطوائف الشعب على صعيد الوطنية ، كان يطلب من الاكثرية الساحقة من الجماهير العربية - وهي مسلمة - ان تنسى او تغفل التراث القومي . . . أو على الاقل ان لا يكون لقاؤها به لقاء صريحاً مطلوباً وحراراً ، وانما لقاء ، له طابع الشيء الخاص الفئوي المتهم بالتعصب بدلاً من أن يكون الغذاء الروحي والفكري والنضالي للأمة كلها . . .

الثانية : حرمان الطوائف الاخرى من غير المسلمين ، من التراث العربي الذي هو تراثها ، وبالتالي ابعادها عن تحقيق شخصيتها الكاملة ، وتركها فريسة للأيدي والتوجيهات الاجنبية . . . ولشتى التيارات التي تستلب جزءاً من شخصيتها . وترك الفجوة بينها وبين القسم الاخر والاكبر من بني قومها وشعبها تتسع مع الزمن لتصل أحياناً الى التناقض .

فتفكير الحزب تناول المسألة القومية من الجذور التاريخية والفكرية والنفسية ، واعتبر أن للعرب جميعاً تراثاً قومياً واحداً يشتركون فيه بصرف النظر عن العقيدة الدينية وان كان هذا التراث هو ايضاً عقيدة بالنسبة الى الاكثرية .

وعندما قلنا بان ذلك المفهوم للعلمانية كان في بعض الاحيان مشبوهاً ، كنا نقصد أن بعض المروجين له كانوا من الاستعماريين أو ادوات الاستعمار ، ويريدون من ورائه ليس لقاء الجميع على صعيد الوطنية كما كان الادعاء ، بل نسيان الامة لتراثها ، يقابل هذا النسيان ترويج وتعميم للثقافة الغربية والحضارة الغربية . أي انه كان هناك عملية احتيالية^(١) .

(١) وإن الفلسفات والثقافات تأتي من الغرب وتغزو عقل العربي وتختلس ولاءه ، قبل ان تقتصب ارضه وسماهه ، فنريد تعليماً قومياً موحد البرامج يستمد اصوله من خصائص الامة العربية ومن روح ماضيها وحاجات مستقبلها ، ويحفظ ولاء النشء للوطن العربي والقضية العربية فلا يشرك بهما وطناً آخر او قضية اخرى .

ونريد ايضاً ألا تبقى الثقافة غاية في نفسها ، بل وسيلة لتقويم الأخلاق وتنشئة مناضلين في سبيل البعث العربي . إن الفروق الطائفية ابعدت قسماً هاماً من العرب عن روح بلادهم وتقاليدها وجعلتهم شبه غرباء في وطنهم

● لقد أوضحتم في حديثكم العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل، فما هي بنظركم الأسس التي ينطلق منها المناضل البعثي لتحقيق هذا الترابط؟

ذكرت باننا نرجع دوما الى الأمة والحزب والمناضل البعثي . . . المناضل البعثي يحقق هذا الترابط اذن، عندما يحقق اويدرك العلاقة بين حاضر الأمة وماضيها ومستقبلها، وعندما يدرك العلاقة بين حاضر الحزب وماضيه ومستقبله . بالنسبة الى الأمة، الان بأن الأمة العربية لا يمكن ان تنشئ مستقبلها جديراً بها، مستقبلاً في مستوى عظمتها، اذا لم ترجع الى تراثها واذا لم تكتشف عن طريق النضال والثورة، الجديد والخالد في هذا التراث . تراثنا ليس شيئاً ماضى وأنقضى . . . ليس شيئاً للتاريخ وللمتحف . . . تراثنا هو سجل عبقرية هذه الأمة . . . والثورة العربية التي لا تستلهم هذا التراث . . . مقضي عليها بالفشل . . . شعبنا العربي لا يتحرك ولا يؤيد ولا يندفع في النضال والتضحية الا وراء حركة فيها نفحة الرسالة وتكون ميزتها الاولى الأخلاقية، لذلك أيها الرفاق ذكرت لكم في حديثي بأن التصور الأول للحزب كان واقعياً كل الواقعية، عندما وضع الأخلاقية كشرط أساسي .

دعوني أذكر لكم عبارة^(١) قد لا أوردتها حرفياً كُتبت في سنة ١٩٤٣ في بداية الحزب، تجعل الأخلاقية كشرط موضوعي لنجاح الثورة العربية . . . لنجاح ثورة الحزب . . . وهذا ما ميز حركتنا ليس عن الحركات الأخرى في الوطن العربي وإنما عن الحركات الثورية في هذا العصر، نؤمن أنه بالنسبة للأمة العربية، للجماهير العربية . . . اذا لم يكن النضال رسالة ورسالة انسانية بالطبع، (عندما نقول رسالة حتماً

واضعفت بالنتيجة مساهمتهم في الحركة القومية . فتريد ان تستيقظ في المسيحين العرب قوميتهم يقظتها التامة فيروا في الاسلام ثقافة قومية لهم، يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها، لأنه متصل بطبيعتهم وتاريخهم ولأنه الميدان الذي برهن العرب فيه على كفاءتهم في تسامي الروح وخصب الفكر وقوة الأخلاق . « ١٩٤٣ .

نضال البعث: ج ١ ص ٢٨

(١) «إن استفحال الأمراض التي تفتك بالأمة، وعمق الآلام التي تحرز في جسمها لم تعد تنجح فيهما حيلة السياسيين، مهما كانوا اذكيا بارعين، ولا بد لها من مناضلين مؤمنين يستمدون روح نضالهم واسلوبه من روح امتهم واخلاقها . «

١٩٤٣

نضال البعث: ج ١ ص ٢٨ - ٢٩ .

هي رسالة انسانية)، متحصناً باخلاق الرسالة فهو فاشل . . . لأن هذه الأمة، امتزجت شخصيتها . . . وكل ذرة من ذرات كيائها النفسي بهذا التراث الذي هو رسالة عظمى فلم تعد تقبل ما هو دون هذا المستوى .
فالثورة العربية اذا لم تستلهم التراث وتستلهم روح الرسالة ومستوى الرسالة فهي فاشلة .

هكذا اذن وضعنا مستوى لثورتنا كمثل أعلى قد لا يبلغه - بل يصعب جداً بلوغه - إنما شرط أساسي ان نتبناه، وأن نحاول ونسعى دوماً لبلوغه وهكذا نسير الى المستقبل بشخصية اصيلة، شخصية مستندة الى هذا التراث، الى هذه القيم الكبرى . . . القيم الانسانية الأساسية، فلا يمكن عندها الا ان نكون مبدعين . . . الا ان تكون ثورتنا جذرية وعميقة لكي نتكافأ مع هذا المستوى، لكي نصل الى تحقيق شخصيتنا، شخصية الأمة العربية التي أنتجت حضارة كبرى في تاريخ الانسانية ونحن نتوق وتتحفز دوماً لكي تعاود المسير ولكي تعطي هذا العطاء وبهذا المستوى للانسانية . . . لا شيء يلبي حاجات الأمة العربية . . . والشعب العربي، الا حركة تضع هذا الهدف مثلاً أعلى لها .

هذا بالنسبة الى تحقيق الترابط بين الماضي وحاضر الأمة ومستقبلها، وأعود وأكرر بأن فهمنا الذي تميز الحزب به هو أننا نرجع الى التراث من خلال الثورة في الحاضر، وهكذا نبني المستقبل المبدع، المستقبل الأصيل، لا نذهب الى التراث لينتشلنا من جمودنا . . . نتحرك ونثور ونناضل ونفهم العصر الحديث والحضارة الحديثة ونبدل كل جهودنا وطاقتنا للتحرر، وعندها يبدو لنا التراث بأنه شيء خالد وشيء أصيل وأنه هو المستقبل . وعندها نبني وننشئ مستقبلًا فيه خلق وابداع .

فالتراث هو استحقاق . . . التراث يجب ان نرتقي لنبلغه لا ان نقعد ونتنظر نزوله الينا .

بالنسبة الى الترابط بين ماضي الحزب وحاضره ومستقبله . . . اذكركم ايها الرفاق بحديث قديم . . . في التنظيم، عن تنظيم الفرقة . . . قلت هذا منذ عشرين عاماً بأن مفهومنا للتنظيم هو أن العضو في الحزب ليس جزءاً من الحزب وانما هو الحزب كله،

ليس «البرغي» الصغير في الآلة . . . ليس هو الجزء الصغير في الآلة الكبرى كلا، وإنما كل مناضل بعثي . . . هو حزب البعث .

لأننا لا نؤمن بتجزئة الشخصية ولا نؤمن بالتفكيك، العمل الثوري كل موحد وحاضر في اذهاننا في كل لحظة، وإنما التحقيق يتجزأ . . . نحقق منه الآن جزءاً . . . وسنحقق اجزاء في المستقبل، كما حققنا أشياء في الماضي لكن هو دوماً ماثلاً أمامنا، كذلك البعثي، شخصيته هي صورة عن الحزب بكامله وليس هو جزءاً صغيراً من الحزب، بهذا المعنى . . . التجربة الحاضرة كما قلنا مطلوب منها ان تتسع وتستوعب تجارب الحزب كله، وبما أن المناضل البعثي هو الحزب كله . . . فاذن المناضل البعثي مفروض فيه ومطلوب منه أن يستوعب تجارب الحزب كلها هذا لكي تتعمق شخصيته وتنمونهاها الكامل وتنضح النضج اللازم .

قدرنا أيها الرفاق، هذا تصور الحزب منذ البداية . . . قدر الأمة العربية أن تتطور وتتقدم نحو تحقيق اهدافها . . . أثناء عملية انبعاثها، بأن تستفيد من النصر ومن النكسة على حد سواء، من الشيء الأيجابي ومن الشيء السلبي على حد سواء، لذلك نرى عندما ننظر النظرة الشاملة بأن النكسات في تاريخ الأمة وتاريخ الحزب لم تذهب سدى . . . لا بل أنها كانت احياناً ضرورية . . . لا تستطيع أمتنا أن تكتفي بنهضة وسطية، بنصف ثورة، لا بد لها ان تغوص الى اعماق نفسها، والى اعماق الواقع، واعماق النضال لتخرج اخيراً الأنبعاث الحقيقي الحضارة الجديدة . فاذن لأن اهدافها صعبة وبعيدة فلا بد ان تتناوب الانتصارات مع التوقف بين حين واخر لمزيد من الأعداد، لمزيد من التهيئة، لاعادة النظر في أخطاء سابقة، لأستكمال نقص .

لو أخذنا وحدة ١٩٥٨ . . . الحزب فخور بأنه هو الطرف الأول والأساسي في صنعها، لم يكن يجهل أنها ستلاقي عقبات كثيرة . . . ان كل الشروط لم تكن مهياة لها، لكنه كان يعرف بأنها عمل تاريخي وانجاز كبير، بأنها ستدخل الوحدة العربية وفكرة الوحدة العربية في عالم الأنجاز والتحقيق بعد أن كانت مجرد أمنية وحلم .

وفشلت تجربة الوحدة وخرجت الأمة العربية بدروس وعبر كثيرة منها . . . لن تذهب سدى وستكون دراسة هذه التجربة بكل أخطائها وعثراتها مساعداً كبيراً على

تحقيق خطوة وحدوية ناجحة في المستقبل . الحرب . . . حرب ١٩٦٧ ، هزيمة ١٩٦٧
إذا نظرنا إليها بعد مضي هذه السنين أعتقد بأننا نتفق على اعتبارها حتمية ، حتمية
الوقوع نتيجة قيام أنظمة «ثورية» غير سليمة . . . لأنها تحمل بذور الفساد والتناقض
والأنتهازية الى غير ذلك .

والجماهير العربية لا تستطيع ان ترى هذه الأمور بتشريح وتدقيق لذلك أعطت
ثقتها ومنحت تأييدها لهذه الأنظمة او النظام الذي كان يُعتبر إمام الثورة في تلك
الفترة من الزمن . . . (نظام عبدالناصر) ولكن نحن كنا اعرف من غيرنا بما كان يشوب
ذلك النظام من نقص في داخله ، وكان لا بد أن يصطدم بالواقع وتتكشف نواقصه
وثغراته . . . فحرب ونكسة ١٩٦٧ كانت من جهة محتومة لأن هذا النظام الذي كان
يظهر بأنه هو القوة العربية الكبرى المرتجاة للتحرير ولمحاربة الاستعمار والصهيونية
ولكل شيء ، في حين أنه كان في أكثره مظهراً واعلاماً في الأذاعات ، فكان لا بد أن
ينكشف الضعف لمصلحة الأمة العربية ومصلحة مستقبلها ، وعندها انفتحت
مجالات واسعة لإعادة النظر، للنقد الذاتي ، وفي فترة قصيرة نسبياً ، سنوات معدودة
حدثت فيها هذه المراجعة للنفس واعطت زخماً كبيراً وبطولات نادرة ورقياً في العلم
وفي الانجاز في المجال العسكري وفي الفنون وشتى المجالات . . . نتيجة أنه لم يعد
هناك استار كثيفة تغلف الحقائق أمام اعين الجماهير العربية ، انكشفت الحقائق
فوجدت الجماهير العربية نفسها أمام مسؤولياتها التاريخية ، فتحررت وأعطت ما في
قدرتها ان تعطي . . . كذلك بالنسبة للحزب هذا التناوب كان شرطاً ضرورياً لأنصاح
الحزب ، لأنصاح شخصية المناضل البعثي ، مانراه الان هو ثمرة تلك التجارب
المتعاقبة بايجابياتها وسلبياتها ، ولكن كما قلنا تبق البداية هي التي يجب ان
نستلهمها للمستقبل . . .

البداية هي المعبر الصادق عن هوية هذا الحزب ، عن هوية هذه الحركة الثورية ،
بداية البعث هو هذا الطموح في مستوى الأمة العربية ومستوى مكانتها التاريخية بين
الأمم . لم يكن سهلاً بأن تأتي منذ السنين الأولى بالكفاءات والمزايا والشروط التي
تكون في مستوى هذا الطموح ، مجتمعتنا متخلف ، مجتمعتنا مجزأ ، مجتمعتنا فيه أمراض

وعلى مزمنة، ولكن كبداية يكفي أن نضع أمام أمتنا وجهها هذا الطموح، هذا الهدف وهو الذي تجاوب معها التجاوب العميق، هو الذي ارتاحت اليه نفسها، ولكن لا بد من عشرات السنين، حتى تلحق الأجيال المناضلة بفكرتها، حتى تصعد الى مستوى فكرتها... لسنا مستعجلين في الأمور الأساسية، عندما تكون المسألة مسألة ثورة عميقة اصيلة تقدم حضارة جديدة للإنسانية، يجب ان تكون نظرنا بهذا الاتساع وبهذا النفس الطويل... فالمناضل البعثي هو الذي يفهم اولاً بأن فكرته والمبادئ التي وضعت كأساس لها والأهداف العالية التي وضعت لها، هذا هو التعبير الصحيح عن حركة البعث وعن الأمانى العميقة للأمة العربية ولجماهيرها الشعبية، هذا كمثل أعلى. لا بد ان نمر بنجاحات واخفاقات كثيرة، ثم بنجاحات ثم باخفاقات، ثم بتوقف وأحياناً تعثر حتى تصل حركتنا الى ان تعادل وتساوي طموحها الأول وتصورها الأول.

● استخدمتم في اكثر من مناسبة تعبير «الروح»، رغم ان فكرنا الثوري يعتمد العلمية ويرفض التفكير الغيبي. . الا يعتبر ذلك نوعاً من الفصل بين الاداة والفكر في البعث؟

لعل فيما قدمت بعض الاجابة على هذا السؤال، الروح في كتابات الحزب وفي تصور الحزب لا تعني اكثر مما ذكرت الآن عن هذا المستوى، هذا الاستلهام لروح الرسالة، للأخلاقية، ان تكون الثورة اخلاقية، ان تكون عميقة وجذرية وتجعل طموحها تقديم عطاء للإنسانية كلها، يدخل تغييراً أساسياً في القيم الأخلاقية للبشرية، للعالم المعاصر. ونستطيع ان نرى في صعوبة واقعنا القومي دليلاً ومساعداً على هذه النظرة العميقة والبعيدة. واقعنا القومي لا يشبه واقع اي أمة في هذا العصر وربما في العصور السابقة، يكفي ان نذكر اغتصاب فلسطين، زرع هذه الدولة في قلب الوطن العربي مدعومة بكل قوى الاستعمار، في العالم وأكثر من الاستعمار، مدعومة بتعصب ديني عنصري، بأحلام وهواجس قديمة تؤثر بالأضافة الى الجشع المادي من نهب الثروات ومن شهوة التوسع وغير ذلك، هذه العقبة التي لا تشابهها عقبة في تاريخ الأمم والتي لن تقبل بها الأمة العربية مهما كان الثمن... تدلنا على أن نضالنا سيستمر

في الصعود، وفي التعمق، في الصعود من حيث القوة والأنجاز، وفي التعمق من حيث المعنى الأنساني الى ان تصبح الأمة العربية في مستوى العطاء الحضاري . . . في مستوى الرسالة، لأن استرجاع فلسطين من يد الصهيونية والاستعمار العالمي هو في الواقع انهاء لهاتين اللفتين في العصر الحديث . . . لآفة الاستعمار وآفة الصهيونية ومعنى ذلك بأن نضال الأمة العربية سيفتح عهداً جديداً للعالم كله، للإنسانية كلها، فهل يبقى ثمة اعتقاد بأن هناك تناقضاً بين العلمية التي نعتمدها في فكرنا الثوري وبين هذا التصور؟ . . . هذا التصور، أنا اعتبره علمياً . . . اعتبره ضرورة موضوعية، وليس خيالاً ولا حلماً . . . ضرورة موضوعية لنجاح الثورة العربية ولأن الشعب العربي لا يعطي أقصى ما عنده من طاقات ثورية الا اذا كانت ثورته بهذا المستوى.

● تفضلتم بان «كل انجاز مهما عظم اذا بقي في حدود القطر الواحد يكون مهدداً بان يتحول الى شيء عادي، أو مهدداً بالضياح اذا لم يكن اعداداً للعمل الوحدوي»، ما هو تقديركم لمدى انتشار الحزب في الوطن العربي ومستقبل تنظيماته؟
أيها الرفاق

اكتفي بالقول موضوعياً ان الحزب انحسر عما كان عليه قبل خمسة عشر عاماً، تقلص، انكمش لأن في ذلك الحين في عام ١٩٥٦ حتى ١٩٥٨ كان الحزب موجوداً وبشكل جيد من القوة والانتشار في سوريا والأردن والعراق ولبنان وجزء من اليمن والكويت والبحرين وليبيا ومنظمات صغيرة في المغرب وتونس إذاً اصيب الحزب بتراجع، وما اظن المجال الان متسعاً لتحليل أسباب هذا التراجع، لكني احب أن أذكر هذه القناعة والحزب مطالب ان يعمل بجد لأقامة تنظيمه في كل الأقطار العربية . . . وقد يكون هناك تقصير، ويجب ان نتلافى التقصير . . . هذا صحيح ولكني اقول بأننا بمقدار مانجعل من هذه التجربة تجربة ثورية بهذه الأوصاف التي ذكرتها وبهذا الحجم وبهذا المستوى او بما يقرب منه نسهل انتشار الحزب في بقية اجزاء الوطن العربي . الحدود والحواجز القطرية، أيها الرفاق لم تعد حقائق، اصبحت اشباحاً وأوهاماً. لكن هذه الاشباح وهذه الأوهام، محروسة ومحمية بالبنادق والمدافع التي تملكها الفئات الحاكمة لمصالحها الطبقية لا غير.

أما جماهير الشعب العربي فهي اليوم أكثر من أي وقت مضى وحدوية بأعمق معاني الكلمة . . . مؤمنة بالوحدة، مستعجلة لها ولكنها سجيبة ومكبلة، والوحدة اليوم أصبحت حقيقة بديهية بعد القوة التي انفجرت في حرب تشرين، قوة عربية انفجرت رغم أو على غير حسابات الأنظمة، رغماً عنهم، رغماً عن إرادتهم، انفجرت قوة أرهبت الأنظمة وأرهبت الأستعمار والصهيونية وتأمروا عليها وخنقوها في منتصف الحرب ولكن هذه الحرب المحدودة المتبورة كانت كافية لتهز الجماهير العربية من المحيط الى الخليج وليشعر الجميع انهم أمة واحدة وبأنهم قادرون ان يتحولوا الى قوة عظمى في هذا العالم لو توحدت اقطارهم في دولة عربية واحدة، هذا الشعور موجود ويقيني، وموجود عند الأعداء بنفس القوة ايضاً، ونحن مؤمنون بأن الوحدة العربية لولا مؤامراتهم ولولا عراقيلهم التي يضعونها في طريقنا، كانت اليوم حقيقة واقعة .

٤ شباط ١٩٧٦